وتغلبوا على الأحباش فأخرجوهم من مقاطعة أكسوم وحكموا البلاد زهاء مائتى سنة . وفى نهاية القرن الثامن قضى (لاليبا) على حكم اليهود ورجع الأحباش يحكمون بلادهم معتنقين المذهب اليعقوبى

المسلمون والأحباش

ولم يتوجه العرب فى عهد فتوحهم نحو بلاد الحبشة بل اكتفوا بالاستيلاء على بلاد مصر والسودان فقط ، وذلك على ما نعتقد لسببين : أولهما بعد بلاد الحبشة عن طريق الاستيلاء ومناعتها ، وثانيهما ذكرهم للأحباش بخير لأنهم آووا المسلمين الأولين وآمن نجاشيهم برسالة الرسول

وفى القرن الثامن عشر ثارت الحروب بين الأحباش والمسلمين الذين أحاطوا ببلاد الحبشة من كل جانب . وقبل منتصف القرن الخامس عشر احتك البرتغاليون بالأحباش من أجل الحصول على موانئ صالحة فى مناصراتهم فى بحر المحيط الهندى ، وسعوا لتأسيس علاقات ودية بينهم وبين الأحباش ، وعقدوا أول معاهدة فى سنة ١٥١٥ ؛ وكان من نتائج هذه المعاهدة أن المسلمين أخذوا يتوغلون فى بلاد الحبشة لمحاربة الأحباش حلفاء البرتغاليين ، وكلما انتصر المسلمون على البرتغاليين فى البحر الأحمر وفى خليج عدن انتقموا من الأحباش الذين ناصروا البرتغاليين فى حروبهم

وفى سنة ١٥١٧ تحرك جيش كبير من المسلمين من « زيلع » وهجم على بلاد الحبشة واستولى على « أكسوم » العاصمة المقدسة ، و « جوندار » عاصمة المملكة . وبعد أن مد البرتغاليون الأحباش بالمدافع وتولى « كريستوفوس دغاما » قيادة الجيش الحبشى انكسر المسلمون وانسحبوا

ولما استولى العثمانيون على مصر اشتدت علاقة الترك بالأحباش ، وأخذ سلاطين آل عثمان يساعدون المسلمين فى البحر الأحمر على محاربة البرتغاليين والأحباش ، وكان من نتائج ذلك أن استولى العثمانيون على مصوع وبربرة وهما من موانئ الحبشة ، وتوغلوا فى الداخل ، وأخذ المسلمون القاطنون فى السهول يشددون العزائم للهجوم على بلاد الحبشة ويسعون لنشر الدين الاسلامى فيها

(يتبع) طه الهاشمى

من ضحايا الوطنية

شارلوت كورداى

لتوماس كارليل

بقلم الأستاذ حسن عبد الحليم اليمانى

يبى التاريخ مشهداً يذكره وسط الغموض والاضطراب اللذين لفا مدينة « كان » الفرنسية كما لفّا العالم بأسره فى طليعة عهد الثورة الكبرى : أما مكانه فساحة مجلس « كان » النيابى ، وأما أبطاله فرجل وفتاة أوشكا أن يفترقا بعد لقاء – هما النائب باربارو و شارلوت كورداى (« دارمان » كما كانت أسرتها تلقب قبل الثورة التى ألغت رتب النبل والألقاب) كانت فتاة فارعة العود فى عامها الخامس والعشرين ، يتلألأ محياها جمالاً ووداعة ؛ وكانت على أن ترحل إلى باريس فى أمر ما ، ولهذا تقابلت وباربارو لحملها توصية وتقدمة إلى صديقه الباريسى النائب دوبريه ذاكرا فى خطابه « إنها لجمهورية الهوى من قبل أن ينادى بالثورة مناد ، وإنها لم تكن فى حاجة أبداً إلى الحماسة ، ففى قلبها منها الكفاية » . « أما الحماسة فى رأيها فهى تلك العاطفة التى تدفع بالمرء إلى بذل روحه طائعاً فى سبيل بلاده »

وقبيل ظهر الثلاثاء التاسع من شهر يولية من العام الرابع للثورة ، اتخذت شارلوت مكانها من عربة بريد « كان » الراحلة إلى باريس مزودة بخطاب باربارو وبقليل من متاعها الخفيف . لم يكن فى وداعها – كسنة السفار – أحد يتمنى لها رحلة طيبة موفقة ، فهى قد بيتت عزيمتها بينها وبين نفسها مخلّفة لأبيها رقعة تفضى إليه فيها بأنها فى طريقها إلى انجلترا ، وأنها ترجو أول ما ترجو أن يغفر لها فعلتها وأن ينساها إلى الأبد . وزحفت عربة البريد بحملها ، وكأنما لازمها نعاس ملح ، ما زال يدفع بها وئيدة مهومة حتى بلغت جسر « نيلى » ؛ وحتى لامست عجلاتها ثرى باريس فى ضحى يوم الخميس ١١ يولية ؛ حيث شهدت عينا شارلوت مدينتها المنشودة تطالع السحاب بقبابها العديدة السوداء . وفى فندق البروفدانس بشارع دى ڤيو أوجستين

« La rue des Vieux Augustines » احتجزت لنفسها غرفة سرعان ما احتواها فراشها ، وسرعان ما راحت فى سبات عميق بقية النهار وطيلة الليل ، فلم تستفق منه إلا وشمس الجمعة قد علت فى الأفق

غادرت شارلوت فندقها فى ذلك الصباح لمقابلة النائب دوبريه ، فلما سلمته رقعة صديقه بارباروعلم منها أن لصاحبتها أوراقاً تتعلق بأسرتها ، وأن صديقه يرجوه مساعدتها حتى تحصل عليها من وزارة الداخلية . وأمالها دوبريه بنيتها وقضت نشدتها فى اليوم نفسه ، وغادرته ولم تشر بطرف إلى رحيل أو بقاء . وفى باريس طالعت نواحى عديدة وصوراً متباينة ، ولكنها لم تهتد إلى لقاء « مارا Marat » (١) والتحقق من قسمات وجهه فقد احتبسه المرض إذ ذاك فى منزله

باتت ليلتها فى الفندق ، حتى إذا أسفر الصبح غادرته حوالى الساعة الثامنة لتشترى خنجراً ، ثم لتأخذ عربة من ميدان الانتصارات « La place des Victoires » مبممة مسكن مارا بشارع مدرسة الطب رقم ٤٤ ، حتى إذا بلغته حال مرضه دون لقائها ، فأهمها أن تفشل فى وسيلة ركزت فيها كل آمالها وأحلامها . يالشارلوت الجميلة المنكودة ! ويالمارا القبيح المنكود ! أى قدر يسعى بفتاة من (كان) فى أقصى الغرب ، وبرجل من نيوشاتل فى أقصى الشرق ليلتقيا ؟ وأى شأن يربط بين حظيهما فيجذبهما إلى أن يصطدما ؟

وإذ عادت إلى فندقها بعثت اليه بورقة تحمل اسمها واسم بلدتها : « كان مهد الثورة » ، وتحمل فوق هذا رجاءها ولهفتها إلى لقائه ، حتى تدفع اليه « ما يعينه على أن يسدى لفرنسا يداً » ولكنها لم تتلق عليها جواباً ، فخطت اليه أخرى أقوى من سابقتها رجاء وعاطفة ، وحملتها بنفسها إلى مسكنه فى مساء اليوم نفسه ١٣ يولية

كان مساء شاحباً ، وقد مضى على المساء الذى سقط فيه الباستيل أربعة أعوام كاملة ، ذلك المساء الذى وقف فيه مارا على رأس جموع الشعب ، طالباً من رجال فرقة الهوسار ـ حرس الباستيل وكانت قلوبهم مع الشعب ـ أن يخلوا أمكنتهم وأن يلقوا بأسلحتهم . وبهذا الحدث ارتفع مارا إلى الذروة — ذروة البطولة والوطنية ، وهاقد مضت أربعة أعوام حافلة — فأية طريق اشتقها مارا إلى المجد وأية طريق دفع بنفسه فى شعابها ؟

لقد كان فى الآونة التى يمت فيها شارلوت صوب داره ، ينتقع فى حوض استحمامه ، وقد تجرد من ملابسه إلا قليلاً ، وكانت الساعة حوالى منتصف الثامنة مساء ، وكان منهوكاً محطماً يحمل فى يده قصاصات من الورق ، وأمامه منضدة بثلثة القوائم ، يتكئ عليها كلما هم بالكتابة . كان وحيداً فى مسكنه اللهم إلا إذا اعتبرنا خادمه الشوهاء رفيقة تطرد الوحدة وتخفف أثقالها . فهل انتهج به الطريق إلى أن يلقى خاتمته على هذا الوضع وفى تلك الصورة ؟

قُرع الباب وتكرر القرع ، ونفذ إلى مسمعيه صوت لين حلو ، يرفض صاحبه أن يغادر مكانه من الباب أو تقضى حاجته . كانت صاحبته هى المواطنة شارلوت كورداى ، تلك التى تريد « أن تعينه حتى يسدى للوطن يداً » ـ عرف (مارا) من كلماتها تلك أنها صاحبة الرقعة الأولى التى وصلته ، فنادى خادمه : أن دعيها تدخل ؛ ودخلت شارلوت قائلة : « أيها المواطن مارا ! إننى من (كان) مهد الثورة ، وأريد أن أفضى إليك بأمر »

فرد عليها قائلاً : « اجلسى يا طفلتى ! ما وراءك من أخبار كان وأخبار خونتها ؟ ومن ترى فيها من النواب الآن ؟ »

ولما سمت له شارلوت بعض النواب ، زمجر « صديق الشعب » قائلاً : « ستطاح رؤوسهم فى مدى أسبوعين » ؛ واجتذب المنضدة إليه ثم أخذ يكتب « بارباروه ، بتيون . . . » واستدار فى الحوض مصلحاً من جلسته « بتيون . . . لوقيه و . . . » ، وفى أسرع من اللمح استلت شارلوت خنجرها من غمده ، ثم أهوت به إلى قلبه . لم تمهله حشرجة الموت طويلاً ؛ فلم يستطع إلا صرخة واحدة : « إلىّ ياعزيزى ـ الغوث ياعزيزى ! » سارعت الخادم إليه فاذا به لقى لا روح فيه ، وقد انكفأ على وجهه الذى بدا مغيظاً محنقاً . . . وهكذا قضى مارا « صديق

(١) هو جان پول مارا ـ ولد فى نيوشاتل إحدى مدن شرق فرنسا سنة ١٧٤٣ ولما شب درس الطب ثم احترفه حينا فى لندن . وفى احتوام الثورة عاد إلى باريس حيث أصدر صحيفته المروفة « صديق الشعب » وقاد الشعب بقلمه وخطبه حتى جاء عليه وقت حكم فيه فرنسا مشتركا مع صديقيه روبسبير ودانتون فى حكومة الارهاب الثلاثية .

الشعب » وليس إلى جواره صديق !

إلى هنا تمّ لشارلوت ما دبّرت ، وأنّى لها أن تاتي جزاء عاجلاً محتوماً . . . فقد تدفق الجيران على صرخة مارا الأخيرة والتفوا بشارلوت التي قاومت قليلاً ، حتى إذا حضر الشرطة أسلمت نفسها لهم طائعة . واقتيدت لتوها إلى سجن « أباي Abbaye » حيث احتوتها إحدى غرفه هادئة ساكنة ، وقد ماجت باريس حول محبسها ، ودوّت أصوات الشعب في خليط يتذبذب بين الدهشة والغضب والاعجاب

بعد أيام أربعة ، طالعت الجموع المحتشدة في قصر العدالة ، حيث تعقد محكمة الثورة ، وجه شارلوت جميلاً هادئاً كعادته ، وما إن دخلت القاعة حتى سرت فيها همهمة ليس من السهل أن نستبين العاطفة التي أوحتها ! — وهنالك وقف تنفيل Tinville ليقيم الدعوى مستعيناً بالشهود وببائع الخنجر الذي حضر المحكمة ليدلي بالواقعة أمامها ، ولكن شارلوت قاطعته قائلة « لا حاجة بكم إلى هذه التفاصيل

« إنني أنا القاتلة »

« وبإيحاء من ؟ »

« لم يوح إلى أحد »

« إذاً فما الدافع ؟ »

« جرائمه » ثم زادت في صوت صاخب مرتفع « لقد قتلت فرداً لأنقذ مئات الألوف ، مجرماً لأنجي أبرياء ، حيواناً مفترساً لأريح بلداً بأسره ! لقد اعتنقت مبادىء الجمهورية قبل أن تقوم للثورة قائمة ، ولم أكن أبداً في حاجة إلى الحماسة أو التشجيع ! »

وهكذا قطعت عليهم كل سبيل إلى الكلام ، وحاق الجمهور مشدوهاً بينما أتم القضاة إجراءاتهم في صمت وسكون ، وصدر الحكم بإعدامها لجريمة القتل فتلقته هادئة ، وفي لهجة رقيقة تشف عن روح نبيلة عالية شكرت محاميها ، كما شكرت القسيس الذي أحضروه لها معتذرة له في لطف بأنها ليست في حاجة إلى شيء من بضاعته !

وفي مساء ذلك اليوم نفسه خرج سكان باريس — على بكرة أبيهم — إلى الطرقات والنوافذ ليلقوا على شارلوت نظرة أخيرة ..

وظهرت عربة السجن المشئومة تحمل تلك المخلوقة الصغيرة في ملابس الاعدام الحمراء ، حلوة وادعة ، غضة الاهاب ريانة الغصن تسير إلى حتفها وحيدة وسط هذا العالم الصاخب ! كثير هم أولئك الذين حيوها في احترام برفع قبعاتهم ، فأي قلب لا يمس هذا المشهد قرارته ؟ بينما طاوعت بعض الآخرين نفوسهم فزمجروا وهدرت أصواتهم لدى رؤيتها !

وفي « ميدان الثورة » حيث ينتظرها الموت ، لم يتسلل إلى أساريرها الجميلة الهادئة أي شحوب أو فرق ، بل حافظت على ثباتها وحيويتها ! ولما تقدم الجلادون لقيد ساقيها ، احتجت متذمرة ، وقد حسبت أنهم إنما يفعلون ذلك رأفة بها ، وقد لحظوا في أنوثتها ضعفاً لا يقوى على مجابهة الموت إلا مكبلاً ! حتى إذا أفهموها أنها إجراءات تتبع في كل حالة اعتذرت لهم باسمة وخضعت راضية !

وفي المشهد الأخير عند ما جردوا عنقها من لفائفه وهيأوه لسيف الجلاد ، تمشت في عنقها ووجهها الجميل حمرة من خجل العذارى ظلت تصبغ خديها النديين حتى بعد أن رفع الجلاد رأسها المفصول ليراه جمهور النظارة !

فيا للجمال ويا للقبح ممثلين في شارلوت ومارا ! يصطدمان فيلاشي كلاهما الآخر ! ويا لكما من منكودين أنهلهما العدم كأسه مترعة ! فلتناما في أحضان أمكما الأرض ، تلك التي حملتكما معاً !

محمد عبد الحليم البيانى

ظهر حديثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للأستاذ عبد الله القصيمي النجدي

فيه بيان الأغلاط العلمية والدينية الواقعة في كتاب هيكل (حياة محمد)

(ويباع بمكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ مليما)